بسم الله الرحمن الرحيم

الأسماء الحسنى

(٣) المقدمات في الأسماء الحسنى المجلس الرابع

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فذكرنا في المجالس الثلاثة السابقة خمس قضايا مما يتعلق بهذه المقدمات، وفي هذه الليلة نذكر القضية السادسة، وما يتيسر ذكره بعد ذلك.

سادسًا: في الكلام على الحكمة من حصر الثواب المخصوص الوراد في قوله -صلى الله عليه وسلم-: **((إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة))**[1].

ما الحكمة من حصر الثواب المخصوص بهذا العدد المعين؟ العلماء تكلموا في هذه المسألة، وحاول بعضهم أن يستنبط توجيهًا لذلك، ولكن ذلك لا ينبني على دليل، ومثل هذه الأمور إنما تؤخذ عن المعصوم -صلى الله عليه وسلم.

والله -تبارك وتعالى- لم يخبرنا عن شيء من هذه العلل التي ذكرها العلماء -رحمهم الله- ولهذا يقال -وهو قول الأكثرين-: إن ذلك تعبد لا يعقل معناه، كما في عدد الصلوات الخمس، لا يعقل معناه بالنسبة إلينا، وإلا فلا شك أن له معنى، وأن الله -تبارك وتعالى- يعلمه.

ولكن نحن لا نعقل ذلك، لا تصل إليه عقولنا، والتعليلات -كما هو معلوم- منها ما يكون خفيًّا على العباد، أي: أن العلة يقال عنها تعبدية، لا تظهر للناس، فهذه الواجب فيها التسليم، والانقياد، والتصديق، وتفويض ما خفي علينا إلى عالمه -جل جلاله.

والنوع الثاني: هو العلل المستنبطة، وهذه أيضاً على مراتب، منها ما يكون ظاهراً، ومنها ما يكون ظهوره أقل، فتارة نجزم أن هذه هي العلة، كعلة تحريم الخمر، نقول: العلة في ذلك الإسكار، لا للونه، ولا لرائحته، ولا لأنه يلقي بالزبد، وإنما لأنه يسكر، فحيث وُجدت هذه العلة وجد التحريم في كل مشموم، أو مطعوم، أو مشروب، أو يُتعاطى بطريقة أخرى كالوخز بالإبر، فهذا كله يحرم مما يحصل به تغير العقل.

وهناك علل أبانها الشارع ونص عليها، وهذه لا شك أننا نعلمها من بيان الشارع لها.

سابعاً: في ذكر الروايات التي سردت الأسماء الحسنى:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثُّنْيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين (١٩٨/٣)، رقم: (٢٧٣٦)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله -تعالى- وفضل من أحصاها (٢٠٦٣/٤)، رقم: (٢٦٧٧).

حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– الذي يرويه عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: **((إن لله تسعة و تسعين اسماً))**.

رواه عن أبي هريرة –رضي الله عنه– خمسة من التابعين، والكلام فيه، وفي تخريجه يطول، ولكن ذلك لا حاجة إليه؛ لأن الحديث مخرج في الصحيحين، والحديث إذا أخرجه الشيخان فإنه يكون قد جواز القنطرة، ولا نحتاج أن نذكر إسناده، أو أن نتكلم على هذه الطرق وأن نشرحها، فهو مخرج في الصحيحين.

لكن الكلام على الروايات التي جاء فيها بعد هذا الحديث سرد للأسماء الحسنى، فتلك في غير الصحيحين، وهذه الروايات –لاسيما رواية الترمذي– انتشرت بين الناس، وصار بعض المصنفين يضع ذلك في أول كتابه، وطبعها آخرون، وصارت تعلق على الجدران، واعتمدها بعضهم فيما يضعه في أول العام من التقويم، ونحو ذلك، وصارت بذلك السياق تُقرأ من الصغير والكبير، والعامة، والخاصة، وكثير من الناس لا يميز.

وحديث أبي هريرة الذي جاء فيه سرد هذه الأسماء جاء من ثلاثة طرق:

الأول: وهو طريق عبد العزيز بن الحصين، وهذا أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات[٢]، والحاكم في المستدرك[٣].

الطريق الثاني: هو طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني، وهذا الطريق أيضاً هو عن أبي هريرة –رضي الله عنه– فهذا أخرجه ابن ماجه[٤].

الطريق الثالث: هو المشهور جدًّا، وهو طريق الوليد بن مسلم الدمشقي، وهذا مخرج عند الترمذي[٥]، وابن منده في التوحيد[٦] والبيهقي في السنن[٧] والاعتقاد[٨]، وفي كتابه الأسماء والصفات[٩]، وأخرجه الحاكم[١٠] والبغوي في شرح السنة[١١]، وغير هؤلاء.

فهذه الطرق الثلاثة ليس شيء منها في الصحيحين.

الطريق الأول: مداره على عبد العزيز بن الحصين، وهذا ضعفه أهل العلم في الرواية، حتى قال الإمام مسلم

---

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٣٢/١)، رقم: (١٠).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٦٢/١)، رقم: (٤١).

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب أسماء الله –عز وجل– (١٢٦٩/٢)، رقم: (٣٨٦١).

(٥) سنن الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (٥٣٠/٥)، رقم: (٣٥٠٧).

(٦) التوحيد لابن منده (٨٩/٢)، رقم: (٢٢٩).

(٧) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الأيمان، باب أسماء الله –عز وجل ثناؤه– (٤٨/١٠)، رقم: (١٩٨١٧).

(٨) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٥٠).

(٩) الأسماء والصفات للبيهقي، باب بيان الأسماء التي من أحصاها دخل الجنة، (٢٢/١)، رقم: (٦).

(١٠) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٦٢/١)، رقم: (٤١).

(١١) شرح السنة للبغوي، كتاب الدعوات، باب أسماء الله –سبحانه وتعالى– (٣٢/٥)، رقم: (١٢٥٧).

صاحب الصحيح: ذاهب الحديث[١٢].

وضعفه أيضاً ابن معين[١٣] وآخرون، بل قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: متفق على ضعفه[١٤].

الطريق الثاني: وهو عن عبد الملك بن محمد الصنعاني، وهذا أيضاً لا يحتج بحديثه كما قال ذلك الأئمة النقاد[١٥].

والطريق الثالث: مداره على الوليد بن مسلم الدمشقي، وهو مدلس، بل اشتهر وعرف به، وكثر تمثيل العلماء به على شر أنواع التدليس، وهو تدليس التسوية.

قال عنه الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية[١٦].

فهو عندهم ثقة إذا صرح بالسماع، وهو في هذا الحديث قد صرح به حيث عبر بأخبرنا.

والوليد بن مسلم الذي جاء في روايته عند الترمذي وغيره –كما عرفتم– سرد الأسماء الحسنى، جاء في بعض الروايات عنه الحديثُ مجردًا عن ذكرها.

إذاً ليست كل الروايات عن الوليد بن مسلم فيها سرد الأسماء الحسنى، وإنما ذلك في بعضها، فكان تارة يرويه مع سرد الأسماء، وتارة يرويه من غير هذا السرد.

والحديث ضعفه أهل العلم من جهات متعددة:

فتكلموا عنه من جهة المتن، وذكروا أموراً قادحة، فمن ذلك: ما ذكره الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في الفتح: وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه واحتمال الإدراج[١٧].

أما الاختلاف بين الروايات والاضطراب بينها فهذا حاصل بين الطرق الثلاثة التي أشرت إليها التي فيها سرد الأسماء الحسنى، فلم تتفق روايتان على الأسماء المذكورة اتفاقا كاملاً، بل تفاوتت، كما أن الروايات عن الوليد بن مسلم نفسه بينها اختلاف واضطراب، فالرواية المشهورة عن الوليد بن مسلم التي أخرجها الترمذي قد خالفتها رواية أخرى عند الطبراني[١٨] عن الوليد بن مسلم.

ففي رواية الطبراني وقع اختلاف بينها وبين رواية الترمذي في عدة أسماء، فمثلاً: القائم، الدائم، بدل القابض الباسط، هي رواية الوليد بن مسلم اختلفت، الشديد بدل الرشيد، الأعلى، المحيط، مالك يوم الدين بدل الودود،

---

(١٢) الكنى والأسماء للإمام مسلم (٤٠٠/١).

(١٣) ميزان الاعتدال (٦٢٧/٢).

(١٤) التلخيص الحبير (٤٢٣/٤).

(١٥) قال أبو حاتم الرازي: سألت دحيمًا عن عبد الملك بن محمد الصنعاني فكأنه ضجع، فقلت: هو أثبت أو عقبة بن علقمة؟ فقال: ما أقربهما. وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: يكتب حديثه. وقال أبو حاتم بن حبان: كان يجيب فيما يسأل عنه حتى ينفرد بالموضوعات، لا يجوز الاحتجاج بروايته. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤٠٦/١٨– ٤٠٧).

(١٦) فتح الباري لابن حجر (٤٥٠/١).

(١٧) المصدر السابق (٢١٥/١١).

(١٨) الدعاء للطبراني (ص: ٥١)، رقم: (١١١).

المجيد، الحكيم، وهكذا أيضاً عن ابن حبان الرافع بدل المانع[١٩].

وفي صحيح ابن خزيمة في رواية صفوان أيضاً مخالفة في بعض الأسماء، قال: الحاكم بدل الحكيم، القريب بدل الرقيب، والمولى بدل الوالي، والأحد بدل المغني[٢٠]. هذا كله عن الوليد بن مسلم.

أما رواية الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد التميمي فقد وقع فيها مخالفة في ثلاثة وعشرين اسماً، ليس في رواية زهير بن محمد التميمي: الفتاح، القهار، الحكم، العدل، الحسيب، الجليل، المحصي، المقتدر، المقدم، المؤخر، البر، المنتقم، المغني، النافع، الصبور، البديع، الغفار، الحفيظ، الكبير، الواسع، الأحد، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام.

وذكر بدلا منها: الرب، الفرد، القاضي، القاهر، المبين، الصادق، الجميل، البادي، القديم، البار، الوفي، البرهان، الشديد، الواقي، القدير، الحافظ، العادل، المعطي، العالم، الأحد، الأبد، الوتر، ذو القوه[٢١].

هذا كله عن الوليد بن مسلم، روايات الوليد جاءت بهذا الاختلاف والتفاوت، فضلاً عن الروايات الأخرى، ولهذا ذكر بعض أهل العلم أن هذا السرد في رواية الوليد بن مسلم أنه من جمعه هو، هو الذي جمع هذه الأسماء، وكان يسردها بعد رواية الحديث، فتارة يتغير اجتهاده، فيذكر بعض الأسماء بدلا مما ذكره في مقام آخر، فجاءت متفاوتة.

الشاهد أن هذه الأسماء المسرودة الراجح أنها ليست من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- وإنما هي مُدرَجة، ومعنى مدرجة أنها جاءت بعد رواية الحديث من غير فاصل يبين أنها ليست من قول النبي -صلى الله عليه وسلم-، إنما من قول الراوي، فيلتبس على السامع، هل هذا من جملة قول النبي -صلى الله عليه وسلم- أو هذا من إضافة الراوي؟.

مثل حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- المشهور في الوضوء، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- **((أن أمته يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، فمن منكم استطاع أن يطيل غرته فليفعل))**[٢٢].

هل هذا من قول أبي هريرة، أو من قول النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

بعض أهل العلم قالوا: هذا مدرج من قول أبي هريرة، هو الذي فهم؛ ولذلك كان يغسل اليد حتى الإبط، والقدم حتى الركبة، وهذا الفهم رده عامة أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم.

فهذا يقال له إدراج، وهكذا حينما يذكر الراوي حديثاً، ثم بعد ذلك يذكر جملة من عنده، فيسمعها بعض من

---

(١٩) فتح الباري لابن حجر (٢٢٠/١١).

(٢٠) المصدر السابق.

(٢١) المصدر السابق.

(٢٢) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء، والغرُّ المحجلون من آثار الوضوء (٣٩/١)، رقم: (١٣٦)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (٢١٦/١)، رقم: (٢٤٦).

يسمعها ويظنونها من جملة الحديث مثل: "من كثرت صلاته بالليل، حسن وجهه بالنهار"[٢٣]، فظن بعضهم أنها من الحديث فرواها معه.

فالحاصل أن العلة الأساسية عند بعض أهل العلم كالحافظ ابن القيم –رحمه الله– هي الإدراج، قال: هذا مدرج ليس من كلام النبي –صلى الله عليه وسلم[٢٤].

وهذا الذي عليه عامة أهل العلم أن ذلك من قبيل المدرج وبذلك قال الداودي[٢٥] والبيهقي[٢٦]، والشيخ تقي الدين ابن تيمية[٢٧] وابن كثير[٢٨]، والحافظ ابن حجر[٢٩] وابن الوزير اليماني[٣٠] والصنعاني[٣١] ومن المعاصرين الشيخ ناصر الدين الألباني –رحمه الله–[٣٢].

مع أن هذا الحديث قد صححه جماعة من أهل العلم كالقرطبي[٣٣] والنووي[٣٤] والشوكاني[٣٥].

فالخلاصة: أن سرد الأسماء الحسنى بعد الحديث المخرج في الصحيحين ليس من قول النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولا يصح، ولا تُعتمد هذه الأسماء على أنها من أسماء الله، وإنما ينبغي أن تُجرَى عليها القواعد التي ذكرت في ضوابط الأسماء، على اختلاف في بعض تلك الضوابط، ولهذا اختلف أهل العلم في بعض الأسماء المذكورة في هذه الروايات، هل هي من أسماء الله أو لا ؟ هل الرشيد من أسماء الله؟ وهل البار من أسماء الله؟ وهل العادل من أسماء الله؟ إلى غير ذلك.

---

(٢٣) أخرجه ابن ماجه، أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل (٣٥٨/٢)، رقم: (١٣٣٣).
وهو باطل مرفوعًا، والصواب أنه من كلام شريك، قال محمد بن عبد الله بن نمير: باطل، شبه على ثابت، وذلك أن شريكًا كان مزّاحًا، وكان ثابت رجلا صالحًا، فيشتبه أن يكون ثابت دخل على شريك، وكان شريك يقول: الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، فالتفت فرأى ثابتًا، فقال يمازحه: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، فظن ثابت لغفلته أن هذا الكلام الذي قال شريك هو من الإسناد الذي قرأه، فحمله على ذلك، وإنما ذلك قول شريك، والإسناد الذي قرأه متنه معروف. قلنا: وثابت بن موسى كان ضريرًا عابدًا، وهو ضعيف الحديث أيضًا، وأبو سفيان: هو طلحة بن نافع. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٣٠٥/٢).

(٢٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣٨٤/٣)

(٢٥) فتح الباري لابن حجر (٢١٧/١١).

(٢٦) الأسماء والصفات للبيهقي (٣٣/١).

(٢٧) مجموع الفتاوى (٤٨٢/٢٢).

(٢٨) تفسير ابن كثير (٥١٥/٣).

(٢٩) فتح الباري لابن حجر (٢١٧/١١).

(٣٠) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٢٠١/٧–٢٠٧).

(٣١) سبل السلام (٥٥٤/٢).

(٣٢) ضعيف سنن الترمذي (ص: ٤٥٦)، ومشكاة المصابيح (٢٢٨٨).

(٣٣) تفسير القرطبي (٣٢٥/٧).

(٣٤) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط (ص: ١٠٠).

(٣٥) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (ص: ٨٧).

ثامناً: مظان الأسماء الحسنى:

إذا كان الحديث الذي فيه هذا السرد لا يثبت أين نجد هذه الأسماء الحسنى؟ هل نجتهد؟ وفي ماذا نجتهد؟ هل سنجتهد في استنباط الأسماء من معانٍ تمليها علينا عقولنا أنها معانٍ كاملة؟ أو نجتهد في تتبعها من الكتاب والسنة؟

وهذا هو المتعين، أن تطلب من الكتاب والسنة، فهي مخبوءة فيهما، كما يقول ابن العربي المالكي –رحمه الله–: كما خُبئت الساعة التي في يوم الجمعة، وليلة القدر في شهر رمضان[٣٦]، من أجل الاجتهاد في طلبها، وكذلك هذه الأسماء الحسنى يحتاج العبد أن يجتهد يتتبع في القرآن، يبحث عن هذه الأسماء.

كذلك أيضاً يتتبع ما جاء عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– من الأسماء.

وأكثر ما كان يفعله أهل العلم قديماً أنهم كانوا يتتبعون من القرآن، أما السنة فيصعب تتبع الأسماء؛ لكثرة دواوين السنة.

أما اليوم فيمكن أن يجد الإنسان على الأقل الأسماء التي وردت في القرآن الكريم، يمكن أن يطلبها عن طريق هذه البرامج في الحواسيب، وينظر في هذا الاسم، أين ورد في الأحاديث؟

ثم بعد ذلك يتطلب بعض الأسماء الأخرى التي لم ترد في القرآن، مثل: السِّتير، الحيي، والسُّبوح.

فذلك يؤخذ من سنة رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وبهذا نكون أيضاً قد عرفنا العلة في عدم التنصيص عليها، لماذا لم تذكر لنا هذه الأسماء؟ من أجل أن نجتهد في طلبها وتحصيلها.

تاسعاً: ما هي الأصول التي ترجع إليها هذه الأسماء؟

لما تكلم الحافظ ابن القيم على سورة الفاتحة في مدارج السالكين ذكر أن الأسماء الواردة في أولها: "الله والرحمن والرب" أن هذه الأسماء ترجع إليها جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، فهو يقول بأن اسم الله متضمن لصفات الإلهية، وأن اسم الرب متضمن لصفات الربوبية، وأن اسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان، والجود، والبر، ومعاني الأسماء الحسنى جميعاً ترجع إلى الأشياء الثلاثة، هذا ما قاله في كلامه في تفسير سورة الفاتحة[٣٧].

وسيأتي كلام له آخر في الكلام على بعض هذه المقدمات –إن شاء الله– في ذكر بعض الأسماء مثل "الحي، القيوم" لمّا اختار أنه الاسم الأعظم، قال: إن هذين الاسمين "الحي القيوم " ترجع إليهما جميع معاني الأسماء الحسنى.

ويمكن أن يقال –كما قال بعض أهل العلم–: إن اسم الله ترجع إليه جميع الأسماء، كما سنذكر في الكلام على الاسم الأعظم، ترجع إليه لفظاً، ومعنى، هذا أحد وجوه الترجيح التي ذكرها من اختار أنه الاسم الأعظم.

---

(٣٦) فتح الباري لابن حجر (٢١٧/١١).

(٣٧) مدارج السالكين (٥٧/١– ٥٨).

عاشراً: تفاضل هذه الأسماء:

تكلم من تكلم في كلام الله –عز وجل– هل هو متفاضل أو غير متفاضل، والذين شغبوا على هذه المسألة هم طوائف من أهل الكلام غالباً، فكلام الله –عز وجل– عندهم لا يتفاضل، وهذا غير صحيح، وتعرفون الأحاديث الواردة في سورة الإخلاص أنها تعدل ثلث القرآن، وما جاء في أعظم آية في القرآن، وأفضل سورة، إلى غير ذلك، فلا شك بأن سور القرآن وآيات القرآن تتفاضل، وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة، إلا من شذ.

أسماء الله –تبارك وتعالى– القول فيها كالقول في سور القرآن وآياته، فالذين اعترضوا هناك على التفاضل اعترضوا أيضًا هنا، وزيادة.

وأعني بالزيادة هو أن من علماء أهل السنة من توقف في هذه القضية أيضاً، وقال: لا تتفاضل، لا لأن كلام الله لا يتفاضل، ولكن بمعنى آخر سيتبين، فالذين اعترضوا وقالوا: إن أسماء الله لا تتفاضل، هؤلاء عامتهم من أهل الكلام، والذي عليه جمهور أهل العلم، وهو اعتقاد أهل السنة في الجملة: أن أسماء الله تتفاضل، وأن أوصافه أيضاً تتفاضل، وهذا هو قول الصحابة والتابعين، وأهل الحديث، وهو قول كثير من أتباع الأئمة الأربعة، وهو مقتضى ما جاءت به النصوص.

الحافظ ابن القيم –رحمه الله– حينما يشرح هذه المسألة، يبين عن أمور ينبغي أن يُتفق عليها يقول: فالمستعاذ به أفضل من المستعاذ منه، فالرضا أفضل من السخط، المستعاذ به أفضل من المستعاذ منه، كما أن صفة الرحمة أفضل من صفة الغضب، ولذلك كان لها الغلبة والسبق[٣٨].

هكذا أيضاً كلامه –تبارك وتعالى– فهو صفته، فكلامه الذي يثني به على نفسه –تبارك وتعالى– ويذكر أوصاف الكمال، ويذكر توحيده أفضل من كلامه الذي يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم، ولهذا كانت سورة الإخلاص أفضل من سورة المسد.

كله بالغ درجة الكمال، ليس فيه نقص، ولكن مراتب الكمال تتفاضل، وكانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، وكانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن، بأي اعتبار؟ الجواب: الموضوع الذي تتحدث عنه.

لهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: إنه لا يُعرف عن الصحابة والتابعين أحدٌ ينازع في هذه القضية، بل قال: إن الآثار المتواترة عنهم في تقرير هذا الأصل، وإنما اشتهر القول بإنكار تفاضله بعد المائتين[٣٩].

يعني: بعد انقراض زمان القرون المفضلة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم يذكرون أن الناس تنازعوا في كثير من آيات الأحكام، واختلفوا في الأحكام الشرعية، ولم يتنازعوا في آيات الصفات[٤٠].

---

(٣٨) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٧٢)

(٣٩) مجموع الفتاوى (٥٣/١٧).

(٤٠) الصفدية (٢٩٥/١)، والصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢١٠/١).

والمقصود بالناس الذين بهم العبرة من الصحابة –رضي الله عنهم– والسلف الصالح، ما تنازعوا في آيات الصفات وأخبارها، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها، مع فهم معانيها، وإثبات حقائقها.

فهو يستنبط من هذا أن هذا النوع الذي لم يختلفوا فيه هو أعظم النوعين، يعني: بهذا الاعتبار هي الأعظم من آيات الأحكام، هذا استدلال من جهة النظر، الأدلة النقلية مضت، وهذا الدليل من جهة النظر، والعناية بآيات الصفات أعظم؛ لأن ذلك من تحقيق الشهادتين، وإثبات الأسماء الحسنى من لوازم التوحيد، فالله –تبارك وتعالى– بينها بياناً شافيًا لا يقع فيه لبس.

أما آيات الأحكام فيقول عنها ابن القيم –رحمه الله–: إنه لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس، وأما آيات الأسماء والصفات فيشترك في فهمها الخاص والعام[٤١].

إذا سمع أن الله سميع بصير ما يلتبس عليه، وأن الله قوي عزيز رحيم، ففهم أصل المعنى لا يلتبس، أما الكنه والكيفية فهذه قضايا غيبية لا تصل إليها عقول الناس، فالصحابة –رضي الله عنهم– أشكل عليهم قوله –تبارك وتعالى–: **{حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ}** [البقرة: ١٨٧].

ولم يشكل عليهم: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}** [البقرة: ١٨٦].

وهكذا سائر آيات الصفات.

ثم إن آيات الأحكام فيها إجمال، **{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}** وما هي الأنصبة؟ ما هي الأوقات؟ ما هي المقادير؟ ما هي الأموال الزكوية؟

وهكذا الصلوات ما أوقاتها؟ ما شروطها؟ ما أركانها على وجه التفصيل؟، فهذا فيه كثير من الإجمال.

والله –عز وجل– يقول: **{فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ}** [البقرة: ١٩٦].

ولم يبين هنا قدر الصيام، ولا قدر الصدقة، وقال: **{أَوْ نُسُكٍ}**، أي: ذبيحة، لكن السنة بينت هذا الإجمال، صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة.

أما آيات الصفات، وأحاديث الصفات فليس فيها مجمل يحتاج إلى بيان من خارج.

الحادي عشر: وهو الكلام على الاسم الأعظم:

ما هو الاسم الأعظم لله –عز وجل–؟

الكلام في هذه القضية مرتبط بالكلام على ما قبلها من تفاضل الأسماء الحسنى، فالذين نفوا التفاضل نفوا وجود الاسم الأعظم، قالوا: كيف يقال: هذا اسم أعظم؟ كل أسماء الله موصوفة بذلك فليس بعضها بأفضل من بعض.

وممن نفى وجود اسم أعظم لله تعالى: شيخ المفسرين أبو جعفر بن جرير الطبري –رحمه الله–[٤٢]، وأبو حاتم

---

(٤١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢١٠/١).

(٤٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٢٤/١١).

بن حبان[٤٣]، إضافة إلى بعض أئمة الطوائف المبتدعة من أهل الكلام.

فالذين قالوا بهذا من أهل السنة قلة قليلة، والذي عليه جماهير أهل العلم: أن لله اسمًا أعظم؛ وذلك لورود النص الصريح بذلك عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولهذا صرح الأئمة بذكره في مصنفاتهم كابن ماجه[٤٤]، وابن أبي شيبة[٤٥]، والبغوي[٤٦]، والطحاوي[٤٧]، وابن منده[٤٨]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٤٩] وابن القيم[٥٠]، وغير هؤلاء.

بل منهم من عقد له باباً مستقلاً: "اسم الله الأعظم"، والأحاديث التي وردت في هذا منها أحاديث صحاح ثابتة عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كحديث بريدة الأسلمي عن أبيه أنه قال: سمع النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- رجلاً يدعو وهو يقول: **((اللهم أني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد))**، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **((والذي نفسي بيده، لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى))**[٥١]، فصرح النبي -صلى الله عليه وسلم- بالاسم الأعظم.

الحديث الثاني: حديث أنس -رضي الله عنه- أنه كان مع النبي -صلى الله عليه وسلم- جالساً ورجل يصلي، ثم دعا هذا الرجل: **((اللهم أني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنان المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى))**[٥٢].

الحديث الثالث: حديث أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها- قالت: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **((اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}** [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة سورة آل عمران: **{الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}** [آل عمران: ١، ٢]**))**[٥٣].

---

(٤٣) المصدر السابق.

(٤٤) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (١٢٦٧/٢).

(٤٥) مصنف ابن أبي شيبة (٤٧/٦).

(٤٦) شرح السنة للبغوي، كتاب الدعوات، باب ما قيل في الاسم الأعظم (٣٦/٥)، رقم: (١٢٥٨).

(٤٧) شرح مشكل الآثار (١٦٠/١).

(٤٨) التوحيد لابن منده (٦٣/١)، رقم: (٣).

(٤٩) مجموع الفتاوى (٦٩/١٧).

(٥٠) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ١٢٧).

(٥١) أخرجه أبو داود، أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب الدعاء (٧٩/٢)، رقم: (١٤٩٣)، والترمذي، باب جامع الدعوات عن النبي -صلى الله عليه وسلم- (٥١٥/٥)، رقم: (٣٤٧٥)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (١٢٦٧/٢)، رقم: (٣٨٥٧).

(٥٢) أخرجه ابن حبان (١٧٥/٣)، رقم: (٨٩٣).

(٥٣) أخرجه أبو داود، باب الدعاء (٨٠/٢)، رقم: (١٤٩٦)، والترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-،

وهناك حديث آخر، وهو: حديث أبي أمامة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: **((إن اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن ثلاث: البقرة، وآل عمران، وطه))**[٥٤].

هذه الأحاديث تثبت أن لله اسماً أعظم، ولكن ما هو هذا الاسم الأعظم؟ ما تحديده؟

العلماء اختلفوا على نحو من أربعين قولاً، كما اختلفوا في ليلة القدر، فقد ذكر الحافظ في الفتح في ليلة القدر أربعين قولاً[٥٥]، مع أن الشهر ثلاثون يوماً، لا يزيد عن الثلاثين، اختلفوا فيها على أربعين قولاً.

ما هذا الاسم الأعظم؟ هناك أقوال بعيدة جدًّا، ولكن الأقوال القوية المشهورة ثلاثة أقوال:

الأول: هو الذي اختاره ابن القيم –رحمه الله– أن الاسم الأعظم الحي القيوم[٥٦].

القول الثاني: أنه لفظ الجلالة، الله هو الاسم الأعظم.

وهذا قال به جماعة كثيرة من أهل العلم كابن المبارك[٥٧]، والدارمي[٥٨]، والطحاوي[٥٩]، والطرطوشي[٦٠] من المالكية، وابن العربي المالكي[٦١].

والذين قالوا –كابن القيم–: إن الاسم الأعظم هو "الحي القيوم" استدلوا بأدلة منها ما هو ضعيف فلا حاجة لإيراده، ومنها ما له وجه من النظر، فمن ذلك أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان إذا حزبه أمر –اشتد عليه أمر، كرب– كان يقول: **((يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث))**[٦٢].

فيقول: في الكرب سيدعو بالاسم الأعظم.

وكما تعملون هذا ليس بالضرورة، وهذا جواب من قال: إن الاسم الأعظم هو الله، أو غير ذلك مما ذكروا، ليس بالضرورة أن يكون هذا الدعاء بالاسم الأعظم.

ويقول: إن مدار الأسماء الحسنى كلها على هذين الاسمين، وإليهما ترجع معاني الأسماء الحسنى، فالحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، المقصود: الحياة الكاملة، أما حياة المخلوق الضعيف فلا تستلزم جميع صفات الكمال، وأما حياة الله فكاملة من كل وجه، فهي تستلزم –حتى تكون حياة لائقة بجلاله وعظمته–

(٥١٧/٥)، رقم: (٣٤٧٨).

(٥٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٦٨٦/١)، رقم: (١٨٦٦)، والأسماء والصفات للبيهقي (٥٩/١)، رقم: (٢٧).

(٥٥) فتح الباري لابن حجر (٢٥٦/٤) وما بعدها.

(٥٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٤٤٦/١)

(٥٧) انظر: الدعاء المأثور وآدابه للطرطوشي، ص: (٩٧).

(٥٨) انظر: رد الدارمي على بشر المريسي، ص: (١١).

(٥٩) مشكل الآثار (٦٢/١)

(٦٠) انظر: الدعاء المأثور وآدابه، ص: (٩٦).

(٦١) انظر: أحكام القرآن (٧٩٨/٢).

(٦٢) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، (٥٣٩/٥)، رقم: (٣٥٢٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٨٨/١)، رقم: (٢١٥).

جميع صفات الكمال، فلا تتخلف صفة من صفات الكمال عن الحياة إلا ويكون ذلك لضعفها، انظر إلى صفات الكمال التي تتخلف عن حياتنا، وتعرف بذلك عجزنا وضعفنا.

أما القيوم فهو يرى أنه متضمن لكمال غناه، ولكمال قدرته، فهو القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، غني عن المخلوقين، ثم هو مقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان جميع صفات الكمال(٦٣).

واحتج لهذا بأن الاسم القيوم ورد مكرراً في بعض الأحاديث السابقة.

لكن حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه، قال **((اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد))**.

فلم يذكر الحي القيوم، وهذا نقض من المعارضين لهذا القول، لكن حديث أنس جاء فيه الحي القيوم، وحديث أسماء قالت: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: **{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}** [البقرة: ١٦٣]، وآية آل عمران: **{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}** [آل عمران: ٢].

الآية الأولى: ليس فيها الحي القيم، فهذا أيضاً يضعف القول بأنه الحي القيوم، مع أن أشهر الأقوال في الاسم الأعظم أنه الحي القيوم.

وحديث أبي أمامة لم يحدد، قال: **((إن اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن ثلاث: البقرة، وآل عمران، وطه))**.

فكل الآيات التي في السور الثلاث فيها الحي القيوم، في سورة البقرة آية الكرسي في سورة آل عمران: **{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}** [آل عمران: ٢]، في طه: **{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ}** [طه: ١١١].

لكن لم ينص النبي –صلى الله عليه وسلم– على هذه الآيات الثلاث، والعلماء استخرجوها باجتهادهم، ولهذا خالفهم آخرون كالطحاوي –رحمه الله– في استخراج هذه الآيات.

والذين قالوا: إن الاسم الأعظم هو "الله"، قالوا: إنه المذكور في جميع الأحاديث، وهذا الكلام غير دقيق، فحديث أسماء بنت يزيد لما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: إن الاسم الأعظم في هاتين الآيتين: **{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}** [البقرة: ١٦٣]...

فليس في هذه الآية لفظ الجلالة "الله".

واستدل الذين قالوا بأن الاسم الأعظم هو الله بأن هذا الذي قاله جماعة من الصحابة، كابن عباس، وجابر بن زيد، وقال به جماعة من السلف من بعدهم، كالشعبي، وابن المبارك، وعليه جمهور العلماء(٦٤).

وهذا يجاب عنه أنهم خالفهم آخرون، ولم يجمع الصحابة على هذا الاسم.

واحتجوا أيضاً بدليل من النظر، قالوا: هذا الاسم له خصائص ومزايا معنوية، ولفظية، لا توجد في غيره،

---

(٦٣) بدائع الفوائد (١٨٤/٢).

(٦٤) الدعاء المأثور وآدابه، ص: (٩٦).

منها: أن هذا الاسم مختص، ولا يجوز أن يطلق على غير الله –عز وجل– فهو مختص لفظاً ومعنى، يعني: من حيث التسمية، فلا نصيب للمخلوق أن يسمى بهذا الاسم "الله"، لكن المخلوق ممكن أن يسمى بـ"حكيم، عزيز"، {قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ} [يوسف: ٥١].

ومن جهة المعنى: لا نصيب للمخلوق في صفة الإلهية، هل المخلوق له شيء من الإلهية؟ أبداً، فليس للمخلوق حظ في هذا الاسم، لا من جهة اللفظ، ولا من جهة المعنى.

وقالوا: إن جميع الأسماء الحسنى والصفات ترجع إليه لفظاً ومعنى.

ما معنى ترجع إليه لفظاً ومعنى؟ قالوا: لفظاً تأتي دائما معطوفة عليه، ولا يعطف على شيء منها، تبدأ به، تقول: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ ...} [الحشر: ٢٣].

وأيضاً من جهة المعنى، قالوا: كل معاني الأسماء الحسنى ترجع إلى هذا الاسم، فالربوبية هي من أوسع الصفات، لكن الذي يكون إلهاً لابد أن يكون ربًّا.

ولهذا قالوا: إن الإلهية متضمنة للربوبية، فالذي يكون إلهاً لابد أن يكون هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر المعطي المانع، فترجع إليه لفظا ومعنى، والله –عز وجل– يقول: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠]، فأضاف سائر الأسماء إليه.

وهذا القول كما ترون هو أقواها أدلة، ولكن يبقي الإشكال عليه في حديث أسماء أنه لم يرد في الآيات الأخرى.

ومن هنا قال ابن جرير –رحمه الله–: إنه لا يوجد دليل على الاسم الأعظم.

هذا رجل دعا بدعاء، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– دعا الله باسمه الأعظم، ورجل آخر دعا بدعاء آخر، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– دعا الله باسمه الأعظم، وقال: في هاتين السورتين، وقال: في ثلاث سور، وقال: في هاتين الآيتين.

فيمكن أن يكون الاسم الأعظم لا يُقصد به واحد من الأسماء، وإنما في كل مقام ما يناسبه، فإذا دعا الإنسان، وتخير من الأسماء ما يناسب المقام فهو دعا بالاسم الأعظم، هكذا قال بعض أهل العلم، قال: هذه الأدلة إذا تأملتها لا نجد اسماً محدداً اتفقت عليه، وإذا جمعت الأسماء الواردة فيها فإنك لا تجد اسماً متكرراً في جميعها، وجملة الأسماء التي وردت في الأحاديث، حديث بريدة، وأنس، وحديث أسماء لفظ الجلالة الله، والأحد، والصمد، والمنان، والحنان، وبديع السموات والأرض، وذو الجلال والإكرام –على أنه من الأسماء–، والحي، والقيوم، والرحمن، والرحيم، بالإضافة إلى ذكر كلمة التوحيد، وفيها لفظة إله "لا إله إلا الله" ولهذا فهل نستطيع أن نجزم أن الاسم الأعظم هو الاسم المعين الاسم الفلاني بناء على ما سمعنا من الأدلة؟، الجواب: لا نستطيع.

هل لله اسم يمكن أن يقال عنه بأنه الاسم الأعظم بعينه من بين سائر الأسماء؟

الجواب : نعم، هذا ما دلت عليه الأدلة، فيستطيع الإنسان إذا أراد أن يدعو أن يجمع هذه الأسماء التي وردت في هذه النصوص، ويدعو ربه بها، فيقول مثلاً: يا الله، يا أحد، يا صمد، يا منان، يا بديع السموات

والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، يا رحمن يا رحيم، يا حنان.

فإذا جمع هذه التي وردت في الأحاديث التي جاء التصريح معها بالاسم الأعظم فيكون قد أصاب الاسم الأعظم، وهذا شيء ليس بالعسير.

من الاعتراضات التي ذكرها العلماء على أن لفظ الجلالة هو الاسم الأعظم، قالوا: هذا لا يكاد يدعو أحد إلا يقول: اللهم، يعني: يا الله، فلو كان هو الاسم الأعظم لصار على لسان كل داعٍ، ولكن الشارع أخفاه من أجل الاجتهاد في طلبه.

وكما أشرت، أن من أهل العلم -كالطحاوي- من قال: إن الآية التي في طه ليست قوله: **{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ}** [طه: ١١١]، وإنما قوله: **{وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}** [طه: ٧، ٨].

وهذا مرتبط بالأسماء الحسنى، فقال: هذه الآية أولى أن تكون هي المقصودة: **{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}** [طه: ٨].

الثاني عشر: الأدب في مراعاة هذه الأسماء الحسنى:

الله -تبارك وتعالى- يوصف من كل صفة كمال بأكملها وأجلّها وأعلاها، هذا هو الواجب واللائق، فيوصف من الإرادة بأكملها، وهي الحكمة، وحصول كل ما يريد بإرادته، كما قال: **{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}** [هود: ١٠٧]، حينما نتكلم عن إرادة الله -عز وجل- فإننا نثبت له أكمل ما يكون من المعاني الداخلة تحتها، هذا هو اللائق، أنه فعال لما يريد، الإنسان مريد، لكن هل تبلغ إرادته إلى تحصيل كل مراد؟ فقد يريد أشياء، ولا يستطيع تحقيقها، فيعيش في الأماني.

وأن الله -تبارك وتعالى- أيضًا يريد بنا اليسر، ولا يريد بنا العسر، **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** [البقرة: ١٨٥]، وأن الله يريد الإحسان، وإتمام النعمة على عباده، **{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا}** [النساء: ٢٧].

{مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٦].

والله -تبارك وتعالى- يصف نفسه من الكلام بأعلى أنواعه، فالكلام فيه صدق وكذب، وحق وباطل، فيصف نفسه من الكلام بأعلى أنواعه، وهو الصدق، **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}** [النساء: ١٢٢]، **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}** [النساء: ٨٧].

والعدل: **{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}** [الأنعام: ١١٥]، والحق.

والفعل منه الحسن، ومنه القبيح، والله تعالى يصف نفسه بأكمل الأفعال، فالأفعال التي تصدر من الله -عز وجل- هي أحسن الأفعال، فهي العدل، الحكمة، النعمة، وما إلى ذلك.

وهكذا المحبة، وهي أنواع ودرجات كثيرة، فالله -تبارك وتعالى- وصف نفسه منها بأعلاها وأشرفها، فقال: **{يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}** [المائدة: ٥٤]، **{يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}** [البقرة: ٢٢٢].

ويحب المحسنين، ويحب الصابرين، ولم يصف نفسه -تبارك وتعالى- بغيرها من العلاقة، والميل، والصبابة،

والعشق، والغرام، وما إلى ذلك مما يدخل تحت أنواع وصور المحبة، ولهذا الذين يقولون: الله عاشق ومعشوق، وما إلى ذلك من أهل البدع، هؤلاء لم يتأدبوا مع أسماء الله الحسنى -تبارك وتعالى- وصفاته الأدب اللائق، فصفة المحبة هي أشرف وأكمل من هذه المسميات، فجاءت في حقه بهذه اللفظة: "المحبة".

وهكذا جميع ما أطلقه على نفسه من صفاته العلى، تجده إذا نظرت فيه وتأملته أكمل في جهة اللفظ والمعنى مما لم يطلقه، العليم الخبير، أكمل من الفقيه العارف، ولهذا تقول: الله عليم، وهل نقول: الله عارف؟ لا، فالمعرفة -كما ذكر بعض أهل العلم- هي علم حادث، طارئ لم يكن، تقول عرفت، أما العلم فلا يلزم فيه ذلك.

وهكذا الكريم أبلغ من السخي، وقد ذكر بعض أهل العلم فروقات بين الكريم والسخي، وقالوا: السخاء لا يكون دائماً في المنزلة العالية، بخلاف الكرم؛ لهذا ما جاء ذلك في أسمائه السخي.

والكلام في الأدب اللائق الذي يجب على الإنسان أن يتأدبه مع أسماء الله -تبارك وتعالى- الحسنى وصفاته العلى مرتبط كل الارتباط بما يأتي بعده من ذكر الإلحاد فيها، فإن الإلحاد فيها يتنافى تماماً مع التأدب معها.

الثالث عشر: الإلحاد في أسمائه وصفاته:

وأصل الإلحاد في اللغة من اللحد، وهو الشق الذي يكون في جانب القبر، كما هو معلوم، ومن معانيه في اللغة: الميل، والجور، والظلم.

وهو في الاصطلاح يمكن أن يعبر عنه فيقال: هو العدول بأسماء الله الحسنى وحقائقها، ومعانيها عن الحق الثابت لها.

فالإلحاد في أسماء الله -عز وجل- أنواع:

النوع الأول: أن تُسمَّى الأصنام بهذه الأسماء، كما قيل: إنهم سموا اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وكذا يسمون الصنم والشجر والحجر الذي يعبدونه، يقولون له: إله.

وليس ذلك محل اتفاق، أي أن مناة من المنان، وأن العزى من العزيز، من أهل العلم من قال غير ذلك، فالإلحاد هنا عدول بأسماء الله -عز وجل- إلى أوثانهم سموها آلهة، وسموها بهذه الأسماء، اللات والعزى ومناة.

ومن الإلحاد أن تسمي أحداً باسم مختص لله -تبارك وتعالى-، لو أحد سمى نفسه الرحمن، مثل مسيلمة الكذاب الذي يلقب نفسه برحمان اليمامة، لا يجوز، هذا اسم مختص بالله.

بل سمعت في هذه الأوقات أن رجلاً اسمه الرحمان في بعض النواحي، في هذه البلاد، في بادية، وهذا عجيب؛ لأنه لا يجترئ أحد أن يسمى نفسه بهذا الاسم، وهذا مختص بالله تعالى.

وهكذا ما يعبر به بعضهم، يقول عن طبيب الأطفال: إله الأطفال، بعض من لا خلاق لهم يعبرون بمثل هذه العبارات.

ومثل ملك الملوك، وقاضي القضاة، وحاكم الحكام، وسلطان السلاطين، وذكر بعض أهل العلم أمير الأمراء.

النوع الثاني: أن يُسمَّى بما لم يسمِّ به نفسه، ولا سماه به رسوله –صلى الله عليه وسلم.

فأسماؤه توقيفية، وتسميته بغير ما سمى به نفسه لا شك أنها إساءة أدب مع الله –تبارك وتعالى–، لو جاء أحد وسماك باسم لم يسمك به أبوك، فهل تقبل هذا منه؟ الجواب: لا.

فالفلاسفة –مثلاً– يسمونه بالعلة الفاعلة، النصارى يسمونه الأب، الماسونيون يسمونه المهندس الأعظم، أو بعض الناس يقول: الله الفنان، فهذا كله لا يجوز.

وهكذا أيضاً إذا سمي بما لا يليق مثل الفاتن، المضل، المستهزئ، الكايد، كما ظن بعضهم أنه يشتق من كل فعل من أفعال الله أسماء، فسموه بهذه الأسماء، فهذا خلاف الأدب .

النوع الثالث: وصفه تعالى بما يتقدس ويتعالى عنه من النقائص، مثل قول اليهود: إنه فقير، أو إنه استراح بعد خلق الخلق، وكقولهم: **{يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ}** [المائدة: ٦٤].

النوع الرابع: أن ينكر شيئاً من هذه الأسماء، أو ينكرها جميعاً، أو ما دلت عليه من الصفات والأحكام، أو أن يثبت الأسماء ولكن ينكر ما تضمنته، ودلت عليه من اللوازم والصفات الكاملة.

النوع الخامس: أن تشبه الأوصاف التي تضمنتها هذه الأسماء بصفات المخلوقين، فالله: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** [الشورى: ١١].

والحافظ ابن القيم –رحمه الله– جمع هذه الأنواع من الإلحاد في النونية، يقول:

أسماؤه أوصافُ مدحٍ كلُّها *** مشتقةٌ قد حُمِّلت لمعانِ

إياكَ والإلحادَ فيها إنه *** كفرٌ معاذ الله من كفرانِ

وحقيقةُ الإلحاد فيها الميـ *** ـلُ بالإشراك والتعطيل والنكرانِ

فالملحدون إذًا ثلاث طوائفٍ *** فعليهِمُ غضبٌ من الرحمنِ

المشركون لأنهم سموا بها *** أوثانهم قالوا إلهٌ ثانِ

هم شبهوا المخلوق بالخلّاق عكـ *** ـسَ مشبِّه الخلّاق بالإنسانِ

إلى أن قال:

والملحدُ الثاني فذو التعطيل إذ *** ينفي حقائقها بلا برهانِ

ما ثَمّ غيرُ الاسم أوّله بما *** ينفي الحقيقةَ نفيَ ذي بطلانِ [٦٥]

إلى أن قال:

هذا وثالثهم فنافيها ونا *** في ما تدل عليه بالبهتانِ [٦٦]

هذا ما يتعلق بالإلحاد في الأسماء الحسنى، وفي المرة القادمة سأذكر قواعد تتعلق بأسماء الله وصفاته.

---

(٦٥) نونية ابن القيم (ص: ٢١٦).

(٦٦) المصدر السابق (ص: ٢١٨).